المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

ابن عاشور، محمد الطاهر. ١٩٨٤م، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.

تمام، حسان. ١٩٩٣م، **البيان فی روائع القرآن**، ط١، القاهرة: عالم الكتب.

جبر، محمد عبدالله. ١٩٨٨م، **الأسلوب والنحو؛ دراسة التطبيقية فی علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية**، ط١، دار الدعوة للطبع والنشر.

الحسن بن رشيق، القيروانی. ١٩٨١م، **العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق محمد محی‌الدين عبدالحميد، بيروت: دار الجيل.

الخفاجی، محمد عبدالمنعم ومحمد السعدی فرهود وعبدالعزيز شرف. ١٩٩٢م، **الأسلوبية والبيان العربی**، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

الرافعی، مصطفی صادق. ١٩٩٧م، **إعجاز القرآن وبلاغة البنيوية**، ط١، القاهرة: دار المنار.

السلطان، منير. ١٩٩٣م، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، ط٢، الإسكندريه: منشاة المعارف.

سيد قطب. ١٩٨٣م، **التصوير الفنی فی القرآن**. ط٨، القاهرة: دار الشروق.

الطبرسی، الفضل بن حسن. ١٣٥٦ش، **مجمع البيان فی التفسير القرآن**، قم: منشورات آيت الله العظمی المرعشی النجفی.

عباس، حسن. ١٩٩٨م، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عبدالجليل، عبدالقادر. ١٩٨٨م، **الأصوات اللغوية**، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع.

فضل، صلاح. ١٩٩٢م، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع.

القيسی، أبو محمد مكی بن أبی طالب. لا تا، **الرعاية**، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

ليونز، جون. ١٩٩٥م، **نظرية تشومسكی اللغوية**، ترجمة حلمی خليل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

مفتاح، محمد. ١٩٨٤م، **فی سيمياء الشعر القديم**، دراسة نظرية وتطبيقية، الدار الثقافة- الدار البيضاء.

مونينيه، جورج. ٢٠٠٦م، **الأسلوبية**، ترجمة بسام بركة، ط٢، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

المقالات

ثائر، سمير وحسن الشمری الدجيلی وحسن عبدالهادی. ٢٠١٠م، «**التقنيات البنيوية فی سورة القدر**»، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد ١٨، صص١٢١-١٥٢.

عودة، خليل محمد حسين. ١٩٩٤م، «**المنهج الأسلوبی فی دراسة النص الأدبی**»، مجلة النجاح للأبحاث، نابلس، المجلد ٨، صص ١٠٠-١٢٠.

دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، شتاء ۱۳۹۴، العدد الثامن والعشرون: صص ۱۰۹- ۱۳۰

نبراتُ الحزن فی شعر صلاح عبدالصبور وحسین منزوی(دراسة مقارنة)

جهانگیر أمیری*
فاروق نعمتی**
گولاله أمیرخانی***

تاریخ الوصول: ۹۴/۱/۲۵
تاریخ القبول: ۹۴/۴/۱۶

الملخص

یُعدُّ الحزن مَعلماً بارزاً فی أشعار *منزوی* و*عبدالصبور* وله دوافع ذاتیة وسیاسیة. رغم المزید من القواسم المشترکة التی نستقصیها بین الشاعرین ثمّة فوارق بینهما ومن أبرزها أنّ دور الدوافع الذاتیة المثیرة للحزن فی نفس *منزوی* أکبر وأشدّ من البواعث السیاسیة. زدْ علی ذلک أنّ الحزن فی کثیر من الأحیان یؤدّی إلی بروز حالة من التشاؤم فی نفس *منزوی*؛ وعلی نقیض ما نجده فی *منزوی* فإنّ الحزن لدی *عبدالصبور* بات فی الأغلب حصیلة المشاکل والخطوب الناجمة عن القضایا السیاسیة والاجتماعیة. ثمّ إنّ الحزن لدیه لم یرتقِ إلی مستوی التشاؤم بل تظلّ ملامح التفاؤل طاغیة علی شعره. علی أیة حال فإنّ أشعار الشاعرین جاءت صورة مختزلة عن حیاة الإنسان الیوم بکلّ ما تنطوی علیه من آلامٍ وآمال. یهدف هذا المقال إلی دراسة ظاهرة الحزن فی شعر *عبدالصبور* و*منزوی* وذلک بالاعتماد علی المنهج التحلیلی والتوصیفی المتّبع للمدرسة الأمریکیة.

الکلمات الدلیلیة: شعر حسین منزوی، شعر صلاح عبدالصبور، دوافع الحزن، الدوافع الذاتیة، الدوافع السیاسیة والاجتماعیة.

* أستاذ مشارک فی فرع اللغة العربیة وآدابها، جامعة رازی.
** أستاذ مساعد فی فرع اللغة العربیة وآدابها، جامعة پیام نور.
*** الماجستیرة فی فرع اللغة العربیة وآدابها بجامعة رازی.
الکاتبة المسؤولة: گولاله أمیرخانی
Faroogh.nemati@gmail.com

المقدمة

شغل هاجس الحزن حيّزاً كبيراً من الشعر الفارسی والعربی المعاصرين على حدٍّ سواء. هذا الشعور الذی أطلق عليه فی الأدب الحديث بـ«النوستاليجيا» يوحی إلی الشاعر الحزين بكثيرٍ من المعانی الرقّاق والعِذاب(أميری والآخرون، ١۴٣۴ق: ٧٧). التجارب التی يمرُّ بها الشاعر بغضّ النظر عن أسبابها الفردية أو السياسية أو الاجتماعية تلعب دوراً هامّاً فی إثارة الأحاسيس الدّفينة بداخله إلّا أنّ الشاعر لابد أن يكون مرهف الحسّ، سريع الانفعال کی يتمكّن مِن نقل تجاربه الشعورية إلی المخاطب المتلقّی و يؤثّرُ علی مشاعره، فالآثار التی تخلّفها عاطفة الحزن قد تنطوی علی حالات من التشاؤم لدی الشاعر لو تعاظمت فاعليتُها وطال أمدها واستمرّت وتيرة إخفاقاته وهزائمه.

من هذا المنطلق أنّ *حسين منزوی* و*صلاح عبدالصبور* اهتمّا فی مجال الاهتمام بهاجس الحزن والاغتراب فی أشعارهما إهتماماً بالغاً. تلمّس الشاعران فی مراحل من حياتهما القاسية ظروفاً سيّئة وتجارب مؤلمة تركت بصماتها علی حياتهما الشعرية. فالمتأمّل فی أشعار الشاعرين يجد فيها المزيد من وجوه المماثلة الشعرية قلباً وقالباً، علماً بأنّ هذه المماثلات الشعرية هی حصيلة تجاربهما المرّة فی مشوار الحياة الشخصية والسياسية.

فالمنهج الذی ينسج مع فحوی هذا المقال هو المنهج الوصفی التحليلی الذی يعمل علی دراسة ظاهرة الحزن لدی *حسين منزوی* و*صلاح عبدالصبور* هادفاً للكشف عن وجهات النظر المشتركة الناتجة من خلال النماذج التی توجد بكثرة فی قصائد الشاعرين، ثمّ الوصول إلی النتائج المرجوّة من مغزی الدّراسة. فهذا المقال يحاول أن يبحث عن الأسئلة التالية:

١. ما هو دور وأهمية الحياة العائلية فی إثارة الحزن لدی الشاعرين؟
٢. ما هی أهمّ وأبرز المؤثرات السياسية والإجتماعية فی إثراء عاطفة الحزن لديهما؟
٣. ما هی أوجه التشابه والتباين فی أشعارهما العاكسة لهاجس الحزن؟

الدراسات السابقة

لقد تناول العديد من الدراسات خلال السنوات الأخيرة بواعث الحزن والاكتئاب فی الشعر الفارسی والعربی المعاصرَين؛ إلّا أنّه لم يتمّ لحدّ الآن دراسة مقارنة بين الشاعرين

فیما یتعلق بهاجس الحزن ولکن ثمّة دراسات مستفیضة استقطبتْ کلّاً من الشاعرَین علی حِدَة عوّلنا علیها فی إعداد هذا المقال.

من الکتب:

۱- «ملهاة الحیاة فی مأساة الحلاج»، نقد *صلاح عبدالصبور شبلی*، عمر، بیروت، دارالنهضة العربیة(۲۰۰۷).

۲- «المسرح الشعری عند صلاح عبدالصبور» *لمراد* محمد، النعیمة، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتّاب.

ومن المقالات:

۱- «قناع الحلاج فی شعر العربی المعاصر(صلاح عبدالصبور و عبدالوّهاب البیاتی نموذجاً)» لمؤلّفتیها *کبری روشنفکر وأکرم رخشنده‌نیا*

۲- «مقابلة أدبیة مع صلاح عبدالصبور»، ماجد صالح السامرائی لعبد الصبور صلاح (الآداب، السنة السادسة والعشرون، التّموز، العدد ۷ و ۸، ص ۶-۱۳)

۳- مقالة *لمهدی شریفیان* بعنوان «دراسة ظاهرة النوستالجیا فی الشعر الفارسی المعاصر» نشرت فی فصلیة کاوش نامه (العدد الثانی عشره، ۱۳۸۵ش)

ولعلّه من المفید أن تُنجز دراسة بشأن الآلیات والتّقنیات التی وظّفها الشاعران لإثراء عاطفة الحزن فی أشعارهما.

نبذة من حیاة منزوی

بما أنّنا رأینا روابط وثیقة تربط بین حیاة *منزوی* وبلورة عاطفة الحزن فی أشعاره تناولنا باختصارٍ شدید أهم أحداث حیاته، منذ الولادة إلی أن أصبح شاعراً عملاقاً حتّی وصفه البعض بسعدی عصرنا الرّاهن(نیرومند،۱۳۴۷ش: ۱۴۰). انحدر شاعرنا عام ۱۳۲۵ش من أسرة محبّة للفنّ بمدینة زنجان. تلقّی الدروس المدرسیة فی مدینته حتی دخل جامعة طهران لمتابعة دراسته الجامعیة عام ۱۳۴۷ش فی فرع الأدب الفارسی(قربانی،۱۳۸۶: ۳۷). تفتّحت قریحته الشعریة أثناء الدراسة بحیث فاق أقرانه وبزّ أترابه فی مجال الشعر متخلّصا بـ«رها» فی أشعاره(کافی،۱۳۷۰: ۳۸۴). ترک *منزوی* دراسته لأزمة نفسیة طرأت علیه حیث اضطرّ إلی مسقط رأسه(قربانی، ۱۳۸۶: ۳۷). ممّا

كان *منزوی* يتباهى به دائماً أنّه تتلمذَ فی الجامعة علی يد الشاعر الشهير *مهدی أخوان ثالث*(كاخی، ١٣٧٠: ٣٨٤).

بما أنّ الشاعر لم يكن راغباً فی النّشاطات السياسية والاجتماعية لم يشغل منصباً رسمياً أو وظيفة حكومية بل ظلّ يعتاش علی قول الشعر(قربانی،١٣٨٦: ٣٧). فلم تكن الوظائف التی شغلها بمعزلٍ عن الصحف والمجلات الأدبية وقد سبق له أن عمل فی الإذاعة كمقدّم برنامج أدبی عنوانه: «شعرٌ وشاعرٌ». كما قدّم برنامجاً فی القناة الثانية للتلّفاز تحت عنوان «أدب اليوم»(نيرومند،١٣٤٧ش: ١٤٠). كلّ هذه الأعمال والنشاطات لو دلّ علی شیءٍ فإنّه يدلّ علی أنّ شاعرنا كرّس حياته للشعر بأسرها. تزوّج سنة ١٣٥٤ش إلّا أنّ حياته الزّوجية لم تدُم كثيراً إذ فارقته زوجته بعد مرور ستة أعوام علی زواجهما فقط(قربانی،١٣٨٦: ٣٧). كانت حصيلة حياتهما المشتركة بنتاً اسمها «غزل»(مؤتمن، ١٣٥٥: ٧٠). هذا الإخفاق أدخل فی قلبه حزناً عميقاً وأحدث فی نفسه فراغاً عاطفياً هائلاً وما شكّل له صدمة كبيرة أنّ أخاه الذی كان أصغر منه سنّاً توفّی تاركاً فی قلبه هَمّاً لا يطاق(قربانی، ١٣٨٦: ٣٧).

لازمَ الشاعَر هذا الحزنُ ملازمة الظلّ وقد أفضی أحياناً إلی حالة من الاكتئاب والتشاؤم. وما قاله الشاعر نفسه بهذا الصدّد يعكس تمكّن الخيبة والإحباط من نفسه: «حياتی كلّها مرتبكة ومضطربة بحيث خرج عن سيطرتی كلّ شیءٍ فی ظلّ هذه الحياة الملئية بالفوضی»(منزوی، ١٣٧٣: ٥). زاد الإدمانُ بالمخدّرات من مأساة *منزوی* حتی ودّع الحياة فی سّن مبكرة تقريباً فقد فارق الحياة، وهو لم يتجاوز ٥٨ سنة إثر إصابته بأزمة قلبية نتيجة تعاطيه لجرعة زائدة من المخدّرات فدُفن بمسقط رأسه زنجان(قربانی، ١٣٨٦: ٣٧).

كان *منزوی* بارعاً فی خلق لحظات رومنسية تكتظّ بمعاناة الوحدة والانفراد. ولذا تنبع كلماته من القلب فتدخلُ فی القلب دون استئذان. لم تجرِ رياح الدّهر وفقما تشتهيه سفن ميوله وأهواءه مع ذلک ظلّ محبّاً صادقاً حتّی آخر حياته(منزوی، ١٣٨٩: ١١). خلّف *منزوی* وراءه عدّة مجاميع شعرية طبعت كلها فی حياة الشاعر:

١- مجموعة مسّماة به «حنجرة زخمی غزل (حنجرة الغزل الجريح) وهی أول مجموعة نظمها فی شرخ شبابه والّتی حصلت علی جائزة «فروغ فرخزاد» الأدبية ممّا يدّل علی مكانتها المرموقة بين الدواوين الشعرية.

۲- مجموعة «صفرخان» وهی مجموعة شعرية ضخمة قدّمها الشاعر إلی شخصية مناضلة أظهرت حماساً وبطولة رائعة فی مواجهة نظام الشاه السابق، وفی ذلک خيرُ دليل علی مشاعر الشاعر البطولية إزاء الأنظمة الاستبدادية حيث نستجلی روحه الشجاعة من خلال كلمات شعره بكل وضوح.

۳- مجموعة «با عشق در حوالی فاجعه»(مع الحُبّ فی رحاب الكارثة) وهی ديوان يضّم مائة غزل تفيض رقةً ولطفاً تعكسُ رومنسية الشاعر وتأثره الشديد بعاطفة الحبّ والحزن.

۴- قام *منزوی* بترجمة لمنظومة «حيدر بابا» الشعرية للشاعر الإيرانی الشّهير «شهريار» علی نمط شعر التّفعيلة أو الحُرّ.

لا تنتهی آثار منزوی عند هذا الحدّ ولكنَّ المجال لا يستوعب أكثر من هذا، وفيما يلی نستعرض حياة *صلاح عبدالصبور* نظراً للدور الهامّ الذی لعبته أحداث حياة فی تنامی هاجس الحزن فی نفسه.

نبذة من حياة صلاح عبدالصبور

وُلد *صلاح عبدالصبور* عام ۱۹۳۱ فی أسرة ريفية تسكن شرقیّ نيل. قال الشعر مع حداثة سنّه حيث لم يتجاوز عمره ۱۳ عاماً(جودة السحار،۱۳۵۰: ۳۵). طُبع منذ ذلک الحين أشعاره فی مختلف المجلات والمنشورات الأدبية(تونجی،۱۹۹۹م: ۱۱۲). بعد أن أنهی دروسه الابتدائية غادر قريته متّجهاً نحو قاهرة ليكمّل دراسته فی مادّة اللغة العربية وآدابها(توفيق بيضون،۱۹۹۳م: ۲۰۶). بدأ يزاول التعليم بداية ولكن ترک التدريس ليتفرّغ للعمل الصحفی والثقافی الذی يحبّه حُباً جمّاً. وبدأ يعمل فی كثيرٍ من المجلات الأدبية فی تلک الحقبة(شكری،۱۹۹۱م: ۲۹۹).

الأعمال التی أنجزها *عبدالصبور* لم تكن مفصولة عن الإطار الصحفی والثقافی مثلما رأيناه فی نظيره الإيرانی حسين *منزوی*(جودة السحار،۱۳۵۰م: ۳۵۵). إلّا أنّ *عبدالصبور* بالرغم من *منزوی* كان مولعاً بالإنخراط فی المعترک السياسی. حيث أعلن حمايته عن *جمال عبدالناصر* فی إبّان حكمه لكن، حينما وجد أنّ الرئيس المصری يميل إلی الإستبداد أدار ظهره له وضمّ صوته إلی صوت عشّاق الحرية(توفيق بيضون،۱۹۹۳م: ۲۱۱).

أصيب شاعرنا مراراً بخيبة أمل وإحباط شديدَين إلّا أنّه كان يتطلّع فی آفاق حياته المظلمة بصيصاً من نور الأمل.كان *عبدالصبور* يعانی من أحزان وأوجاع نفسية أكسبت أشعاره طابعاً من الحزن نلمسه من خلال كلماته. توفّی شاعرنا أخيراً عن عمر لم يتجاوز الخمسين إثر نوبة قلبية(تونجی،١٩٩٩م: ١١٥). لم تكن بوصلة شعر عبد الصبور تؤشّر إلی الخيبة والإحباط رغم المزيد من الأسباب والعوامل التی تدعو إليهما بل ظلّ يحُثّ مخاطبيه علی تجنّب حالة الشعور بالتشاؤم وإيجاد الطرق التی من شأنها أن تخفّف عن معاناة الإنسان وآلامه(عبدالصبور،١٩٧٨م: ٩).

وأمّا بالنسبة لآثار الشاعر فإنّه ترک وراءه مجاميع شعرية متعدّدة ومنها(بدوی،١٩٨٦م: ١٩٩):

١- «الناس فی بلادی» وهو أول مجموعة أنشدها الشاعر عام ١٩٥٧م.

٢- «أقول لكم» نظمها سنة ١٩٦١ ومن سمات هذه المجموعة البارزة أنّها تُبلور أحزان الشاعر الناجمة عن نفسه الجريح وقلبه الحزين.

٣- «أحلام الفارس القديم» نشرت عام ١٩٦٤ تعكس رؤی الشاعر حيال الحياة بلهجةٍ لا تخلو من الحزن والاستياء.

٤- «تأملات فی الزمن الجريح»، تحتوی علی ذكريات الشاعر مصوّرةً حالة الاغتراب والنوستالجيا فی نفسه النائحة لآلام الماضی وهمومه.

٥- مجموعة «الإبحار فی الذاكرة»، انطلق الشاعر فی هذه المجموعة فی جولة شعرية عبر أبحار ذكرياته الماضية نشرها عام ١٩٦٧.

٦- مجموعة «شجر اللّيل»، صوّرت هذه المجموعة الشعرية مشاعر الخيبة وأحاسيس الحزن التی انتابت أبناء الشعب المصری، إثر هزيمة نكراء لحقت بهم جرّاء حربها ضدّ الكيان الصهيونی الغاصب وقد سمّيت بـ «انتكاسة مصر» لما تركته فی نفوس المصريين من الشعور بالنّكسة والألم. تمّ طبعها عام ١٩٦٧م.

بواعث الحزن لدی الشاعرَين

إختبر الشاعران *عبدالصبور* و*منزوی* تجارب ذاتية واجتماعية ذات ملامع مشتركة كان لها وقع حزين فی تغريداتهما الشعرية. لقد ترک هذا الحزن لمساته فی أشعارهما بحيث

تُغرّد کلماتها الباکیة تغریدة محزنة. بما أنّ مصادر الحزن لدی الشاعرین قد تکون ذاتیة وقو تکون سیاسیة واجتماعیة إذاً حری بنا أن نقتسم الحزنَ بالنسبة إلیهما إلی الحزن الذاتی والسیاسی. هذا وقد عانی الشاعران من معاناة الحزن والاغتراب أقصاها بحیث یمکن القول بأنّهما انصهرا فی بوتقة واحدة من وقائع الحیاة خاضا غمارها، وخرجا منها بتجارب فریدة وخبرات عالیة انعکست فی أشعارهما حتّی استحالتْ نبعاً دفّاقاً ومعیناً فیاضاً یستقی منه المخاطب المتلّقی حتی الارتواء:

الدّوافع الذاتیة

۱.الإحقاق فی الحُبّ

المتتبع فی شعر *منزوی* یحسّ فیه بحزن منبعث عن إخفاق الشاعر فی الحُبّ «عندما فارقته الحبیبة أبدی کشاعر رومنسی حزنه وأنیته لفراقها، ما أضفی علی شعره لوناً من الحزن العاطفی الذی یعصر القلوب»(بورنامداریان، ۱۳۸۰ش: ۵۶). إذاً یعدّ الحُبّ والحزن هاجسین قویین فی شعره. لا ینفصلان عن بعضهما بل تظلّان وحدة متماسکة تعزف نغمة حزینة من أنغام الحیاة العاطفیة. شعر *منزوی* لا یخلو فی حالة من الأحوال من الآهات والزفرات التی یصعّدها حزناً علی قصته الغرامیة المؤلمة. «فبإمکاننا تسمیة شعره بمعزوفة الحزن التی یعزفها الشاعر بأوتار قلبه الحزین». أبدع *منزوی* فی رسم صورة محزنة عن الحّب المشحون بآلام لحظة الفراق وأحزان ساعة التودیع وما یصحبها من مشاعر الخیبة والإحباط. ربّما لیس جُزافاً القول بأنّ الشعر المعاصر یتمیّز بهذه الصورة الرومنسیة(منزوی، ۱۳۸۳ش: ۱۴).

ذاق *منزوی* طعم الإخفاق فی الحب علی أقصی درجة فإنّ الزوجة التی یعشقها بملأ کیانه، غادرته احتجاجاً علی مرض الإدمان الذی استحوذ علیه کالأخطبوط. ولم تنته مأساة الشاعر عند هذا الحد فقد ذهبت زوجته بابنته الوحیدة أیضاً لیزداد الشاعر بؤساً واکتئاباً ومترنّماً أنشودة الحزن علی أنقاض حیاته العائلیة المدّمرة. الشعور بالوحدة الناجمة عن فقد الأحبّة جعل شاعرنا یتجرّع کؤوس المرارة والشّقاء بإذکاء عاطفة الحزن فیهما. فها هو الشاعر یفتح منافذ قلبه المحموم علینا لیرینا قلیلاً من کثیر ما عاناه فی معرکة الحیاة یتحدّث فی المقطع الشعری التالی عن الأهوال والمخارف التی اعترته به حینما فارقته

زوجته وابنتة. فالعالم فی غیاب الأحبة یشبه کتلة هامدة تخلو من الحیاة وتختفی فیه مظاهر الجمال من الأصوات والأنغام فلم یعد الشاعر یستسیغ الشاعر سماعَ صوت ریثما حُرمَ من إصغاء صوت حبیبته الحنون:

وقتی تو نیستی جهان خالی است　　خالی است زمین و آسمان خالی است
هرگز شنوا مباد تا گوشم　　ز آن صوت و صدای مهربان خالی است

(منزوی، ١٣٨٩ش: ٣٣)

الترجمة: «فی غیابک یخلو العالم وتخلو الأرض والسماء. فلا سمعتْ آذانی صوتاً إذا ما خلت من صوتکِ الرّفیق».

بعد أن تفکّکت أُسرة الشاعر وأفل نجم حیاته الزّوجیة أحیلت حضانة ابنته الصغیرة «غزل» إلی أمّها لحداثة سنّها وعدم کفاءة الأب لتکفّلها حسب رأی المحکمة(نیرومند،١٣٤٧: ١٤٤). هذا الحادث وضع النار فی هشیم أحاسیسه الهشّة وحوّل عالمه إلی نفق مظلم فلا غرو إذ أنّه خسرَ حصلیة حیاته التی یحبّها حتی النّخاع.

ابنته کانت سحابة لو أغدقت ماءها علی الأب المحّطم لَشفی غلیله وأروی ظمأه:

قند عسل من «غزل من گل نازم　　کوته شده رشته امید درازم
خرّم شده اکنون چمن دیگری از تو　　ای ابر نباریده به صحرای نیازم

(منزوی، ١٣٨٩ش: ١٤٤)

الترجمة: «یا شهد العسل یا زهرنی یا غزلی یا حبل آمالی المنصرم. لقد ازدهرت واخضرّت بکِ المروج کلّها ولکنّنی لم یسحّ سحابُکِ ماءه إلی فلاتی المفتقرة إلیه».

الإخفاق فی الحبّ تجربة مُرّة کابدها *عبدالصبور* أیضاً بأضلاعها إذ کان الحبّ استولی علی معظم اهتماماته، وأصبح هاجسه الأکبر فإنّه یشکو فی المقتطف التإلی من شعره، أوجاع الحُبّ وأعیاءه التی أثقلت کاهله:

حدیثُ الحُب یوجعنی و یشجینی
حملتُ الحُبّ فی قلبی فأوجغنی
شکوتُ الحُبّ للأصحاب والدّنیا فأوجعنی

(المصدر نفسه: ١٦١/١)

الحُبّ فی منظور الشاعر صلیبٌ لابدّ أن یصلب علیه المحبّ الصّادق فی نهایة المشوار:

أنا مصلوبٌ والحُبّ صلیبی

(المصدر نفسه: ۱۲۴/۱)

الحبّ والحزن عند *عبدالصبور* طفلان توأمان یرتضعان من ثدی واحد، فإنّهما یورثان المحبَّ المتفانی فی الحُبّ قلباً محترقاً ودموعاً محمرّة:

الحُبّ فی هذا الزمان یارفیقتی
کالحزن لا یعی إلّا لحظة البکاء

(المصدر نفسه: ۴۷۱/۲)

لعبدالصبور مصیرٌ یضاهی مصیر منزوی بشکل مُدهش فقد مُنی هو أیضاً بفراق زوجته علی غرار *منزوی*. تارکاً هذا الحادث المؤلم حالةً من النّکسة العاطفیة والصّدمة الروحیة فی نفسه مما انعکس فی أشعاره أحزاناً وهموماً. إلّا أنّ الشاعر خلافاً *لمنزوی* یحاول تجاوزَ المصائب برؤیة إیجابیة داعیاً رفیقة دربه إلی طیّ صفحة الماضی بذکریاته المُحرقة والمضیّ قدماً نحو حیاة کریمة أفضل واستقبال ما خبّأ لهما القدَرُ بابتسامة وثقة:

إذا افترقنا یا رفیقتی
وَلْنَنْفضِ الأیدی فی التّذکار والنّدم
وَلْنَمْسَح الظّلال عن عیوننا
وَلْنبتَسِمْ فی ثقة
بأنَ ما حدثَ
کان إرادة القدر

(المصدر نفسه: ۲۲۱/۱).

۲.الشعور بالوحدة

ما لقیه *منزوی* من الهزیمة والتعاسة دفعه إلی حیاة العزلة والانکماش. ذاق شاعرنا من نوائب الحدثان وآلام الدهر أمرّها. فغمر نفسَه الشعورُ بسوء الحظّ وتعاسة العیش. المعاناة التی قاساها *منزوی* فی غضون حیاته الشخصیة جرحت مشاعره وملأت نفسه بالسأم والضجر حیال الحاضر. وما یدل علی نظرته السلبیة نحو الحیاة أنّه اعتبر حظّه حظّاً سیئاً قُدّر له فی یومٍ نحسٍ مظلم:

من زخمی از دیروزم و بیـزار از امـروز　　وز آنچـه مـی‌نامنـد فـردا ناامیـدم
یا جبر بود و یا جهان تاریـک، آن روز　　روزی که من تقدیر خـود را برگزیـدم
(منزوی،١٣٨٩ش: ١٥١)

ترجمة: «أصبحت وأنا أحمل جروح الماضی وملالَ الیوم وأشعر بالإحباط لِما سُمّیَ بالغد. إمّا کنتُ مجبراً یوم اخترتُ فیه حظی أو کان العالم فیه مظلماً».

ما إن افتقد *منزوی* زوجته وبنته «غزل» حتی داهمته مشاعر الحزن. فقد رسم الشاعر بریشته الشعریة معاناته الّتی اکتنفته إثر فقده لأحبّته. فإنّه وصف المنزل الذی ترکته زوجته وبنته بالموحش الذی تسکنه الجنّ، فتضجّ جنباته بالصخب واللّغط کما وصف البنت بالفرخة الضائعة وسط العاصفة أو الفرع الطریّ الناعم الذی أثقله المطر کما وصف نفسه و بنبرة باکیة بالمُضنی والمنهوک والمُنهار والبائس:

دختـرم بنـد دلـم غمگـین‌ام　　شیشـه عمـر غبـارآگین‌ام
جوجـه گـم شـده در طوفـان‌ام　　شـاخه خـم‌شـده از بـاران‌ام
پـدرت خُـرد و خـراب و خسـته　　خسـته‌ای بـر همگـان در بسـته
خانـه جـن‌زده متـروک اسـت　　که پـر از همهمـه مشکوک اسـت
(المصدر نفسه: ٥٨٠)

الترجمة: «بنتی یا نیاط قلبی الحزین ویا زجاجة عمری المغبّرة!
یا فرختی الضائعة فی العاصفة ویا غصنی الذی حناه هطول الأمطار!
صار أبوک مضنی ومنهاراً ومنهوکاً أغلق أبواب منزله علی الجمیع.
حلّت بیتَه الموحش الجنُّ و ملأت أرجاءه ضّجة مُریبة».

لم یکن *صلاح عبدالصبور* بمعزلٍ عن مشاعر الوحشة والإغتراب أیضاً. لقد تملّک الشاعر الشعورُ بالوحدة والاستیحاش، بحیثُ لا یتطلع فی آفاق حیاته سوی شبح الموت الحائم حوله. لقد أخذ الإحساس بالإنفراد من نفسه کلّ مأخذ حتی جعله یشعر بأنّه سوف یموت أثناء وحشة لیل مظلم مصاباً بحالة نفسیة مؤلمة. والفکرة التی تضخّ الغصص فی شرانقه فی هذا الوسط الرّهیب هو أنّ سنّی عمره مضت دون جدوی ولم تکن أکُلها سوی ذکریات بالیة ومشاعر مُخزیة:

ینبئنی شتاءُ هذا العام

أنّنی أموت وحدی
ذاتَ شتاء مثله
ینبئنی هذا السّماءُ
أنّنی أموتُ وحدی
ذاتَ مساء مثله ذات مساء
وأنّ أعوامی الّتی مضت کانت هباء

(المصدر نفسه: ۱۹۳/۱)

من الملفت أنّ الشاعر اختار من بین فصول السنة فصل الشتاء، موعداً للقاء الموت لما بینهما من التناغم وما یبعثه هذا الفصل من مشاعر الفراق والتّرحال.

استبدّت حالة الوحشة *بعبدالصبور* وأطار النوم عن عینیه فاستحالت حیاته وسط المخارف والأهوال إلی کابوس مروّع، فأخذ یناشد ربّه فی حالة من التضرع لیُعید إلی جفنیه السبات، علّه یستریح لحظاتٍ من آلام الوحدة التی طالما طغت علی کیانه المنهار:

حُزنی ثقیل فادحٌ هذا المساء
کأنّه عذاب مُصفدین فی السّعیر
یا ربّنا العظیم یا مُعذّبی
یا ناسجَ الأحلام فی العیون
اخترتَ لی
لَشَدَّ ما أوجعَتنی

(المصدر نفسه: ۲۰۸/۱)

من الملاحَظ أنّ کلمة «المساء» فی المقطع السابق أعطت الشعر لوناً رومنسیاً لما تحویه من طاقة دلالیة تتجاوب مع مشاعر الوحدة والإغتراب. تعود آلام *عبدالصبور* حسبما یراه إلی مصیره المؤلم الذی کتبه الله له علی غرار ما یعتقده منزوی إلّا أنّ الأخیر أنحی باللّائمة علی القدر المحتوم واعتبره مسئولاً عمّا حلّ به من مصائب الوحشة والإنفراد.

ظلمة اللّیل تزید من مأساة الشاعر حیث إنّها تمضی بخطوات بطیئة متدنیة تستحضر فی بال الشاعر أحزان الماضی وآلامه. عند ما یحتَلّ اللّیل *بعبدالصبور* یشعر باختناقٍ وضیقِ الصدر فحینما ینظر من نافذة منزله إلی الکون یجده خافت اللّون عدیم الرّوح

والحياة خُيِّمَ عليه صمت جنائزی رهيب:

تعصُر قلبی الوحدةُ
فی ساعات العصر المُبطئة الخطوات
تبدو الدّنيا من شباکی
ميتة مُسجاة
باهتة اللون مُکتّمةَ الأصوات

(المصدر نفسه: ٣١٩/١)

٣.معاناة المرض

المعاناة التی يحتملها الشاعر إثر المرض بروحه الحساسة ونفسيتة الهشّة أسفرت غالباً عن عاطفة متوهّجة وخيالٍ طاغٍ، يستخدمهما کمِصيدة يقتنصُ بها لحظاتٍ مفعمة بالرومنسية والإبداع، تنعکس بشکل ملموس علی نفسه فتجعلها عُرضةً لمشاعر الحزن والألم(معوش، ١٩٩٩م: ٥٦٢).

أحزان الشاعر المنبعثة عن حالته الصحية الخَطرة حفّزته علی رصد أحوال المرضی وما يعانونه فی آثاء الليل وأطراف النّهار. فإنه تحدّث فی المقطوعة التالية عن الحمّی ووخزها الأليم الذی يشبه لدغة الأفاعی. فقد رمز إلی الحمّی بالحمرة لحَرقتها التی تحُاکی لهيب النّيران المضطرمة ومن ثمَّ وضعنا الشاعر فی صورةٍ رهيبة، يعيشها کلّ ليلٍ فی کوابيسه المروّعة إثر مرضه حيث يری فيها حيات سامّة تلتفّ حوله ثم تلدغه بألسنتها الحمراء الشوهاء:

چو چاهِ ريخته آواره می‌شوم بر خويش — که شب رسيده و ويران‌ترند خويش
زبان به رقص درآورده چندش‌آور سرخ — پر است چنبر کابوس‌های‌مان از ماران

(المصدر نفسه: ٣٠١)

الترجمة: «أتهاوی علی نفسی کالبئر المنهارة إذ أنَّ المرضی فی آناء الليل أکثر انهياراً من غيرهم. امتلأت کوابيسُنا بالأفاعی التی تحرّک ألسنتَها المشينة الحمراء لتلسع وهی تلتفَ حول الفريسة».

ويبدو من فحوی الأبيات أنّ لسعة الأفاعی التی تحدّث عنها الشاعر هی عبارة عن

حرقة الحُمّی الناجمة عن المرض الذی تطوّق بالشاعر مثلما تتطوّق الحّیة بضحیتها. أخـذ التعب والمرض یتوغلان فی نفس الشاعر، فینخران قواه ویبلیان عظامَه حتّی أصبح یشـعر فی ظلِّ حالته الکارثیة أنّه یحملُ الأرض بکلّ أثقالها. الآلام الّتی عشّشت فی نفس الشـاعر جعلته ینظر إلی العالم نظرةً سلبّیة؛ فإنّه یتخیل السحابة السوداء التی غَطت السماء قبضـةً تضغط علی عنقه وتضیّق علیه الخناق ولیس هذا الشعور إلّا ولیداً لاکتئـاب نفسـی ولّدتـه أزمة صحیة عصفت بحیاته وأخمدت نورها فی سنّ مبکرة:

ای آســمان کــه ســایه ابــر ســیاه تــو　　چون پنجه‌ای بزرگ گلویم فشـرده اسـت
بـاری بـه روی دوش زمـین تـو نیسـتم　　من اطلس‌ام که بار جهان‌ام به گُرده است

(المصدر نفسه: ۴۷۰)

الترجمة: «یا سماءً تضیّق ظلالُ سحابتها السّوداء خناقی کقبضة ضخمة هائلة. لم أعـدْ عباً علی کاهل أرضک بل صرتُ أحمـل علـی کتفـی أعبـاءَ العـالم وکـأننی أطلس(بطـل أسطوری من أساطیر یونان القدیمة، زعم الیونانیون أن العالم کلّه یقع علی منکبیه)».

تُعدّ معاناة المرض عاملاً قویاً ومؤثراً لدی *صلاح عبدالصبور* جعلـه یجـری وراء هـاجس الحزن والإکتئاب. فتعزف قیثارة شعره عزفةً شجیة تقع فی قلوبِ السـامعین خیـرَ موقـعٍ. ظلّ *عبدالصبور* یصارع طوال حیاته القصیرة معاناة المرض مکابداً آلامهـا ومصـائبها تارکـةً لمساتها علی أشعاره. فها هو یفتح أمامنا نافذة نُطلّ منها علی مشاعر الخوف والهلـع التـی تُحدقُ بالشاعر نتیجة بطش المرض به. لقد بلغت مشاعر الاستیاء والامتعـاض فـی شـاعرنا أقصاها. بحیث یتوقع أن یطیح به فصل الشتاء القاسی فی حال تلتفّ ساقه بالسّـاق لافظـاً أنفاسه الأخیرة فیجود بنفسه بین جلبـة الأشـخاص الـذین لا یعرفونـه ولا یبکونـه. هـذه المشاعر الاکتئابیة التی تنمّ عن داخل الشاعر المتآکل نستشـرفها فـی المقطـع الشـعری التالی فی أجلی صورة:

ینبّئنی شتاءُ هذا العام أنَ هیکلی مریضٌ
وأنّ أنفاسی شوکٌ
وقد أموت تلحق رِجْلٌ رجلاً
فی زحمة المدینة المنهمرة
أموت لا یعرفنی أحدٌ

أموتُ لا يبكى أحدٌ

(المصدر نفسه: ١٩٣/١)

أصبح المرض المدنف للشاعر *عبدالصبور* مصدر إلهام وإبداع، فإنه وّظف آلامه وأوجاعه النّاتجة عن مرضه كمصدر خصب استعان به فى خلق لحظات رومنسية رائعة تأخذ بتلابيب القلوب إلى أجواء تسودها مشاعر إنسانية بحتة. أنظر كيف يناغى حبيبته ويستعطفها بنبرة حزينة وكلماتٍ نائحة حالما دبّ فى جسمه المهترئ دبيب المرض فنخره كما ينخر السّوس العظامَ، فسالت أوصاله على الفراش مثلما تسيل قطرات الماء من الجليد الذى تضربه حرارة الشمس:

صديقتى، إنّى مريضٌ
وساعدى مكسور
ومُهجتى على الفراش كلّ ساعة تسيل

(المصدر نفسه: ٨١/١)

من الملاحَظ أنَّ الشعر رغم قِصر حجمه يتمتع بشحنة درامية رائعة، بحيث يصوّر فى مخيلة القارئ إنساناً معذّباً أضناه المرض وأنهک قواه حتّى غدا طريح الفراش كئيب البال، مهيض الجناح ذابت روحه إثر الحُمّى الحارقة وكأنّها قطعةً جليد تذيبها الشمس بلهيبها القاسى ونيرانها المتوهّجة.

المؤثّرات الخارجية

الاستبداد السياسى والاستكبار وما ينجم عنها

يجب القول إنّ للدوافع الخارجية أهمية قصوى فى إثارة العواطف لدى الشاعر ما يؤدّى إلى بروز ردود فعل مختلفة من ناحيته، من أهمّها القيام بالإفصاح عمّا يدور فى خلده عبر إنتاج شعرى يتماشى مع الحالة العاطفية والنفسية التى يعيشها. فضلاً عن الدوافع الذاتية فإنّ هناک دوراً فعالاً وإسهاماً كبيراً للبواعث الخارجية الناجمة عن الحياة السياسية والاجتماعية فى تكوين آلاثار الفنية الراقية. مع الأخذ بنظر الإعتبار أنّ المؤثّرات الخارجية قد تُعطى زخماً كبيراً للإنفعالات الداخلية وتنمّى طاقتها العاطفية التى يحتاجها الفّنان فى الإبداع الفنى(شيرى، ١٣٨٧ش: ١١). وفى السياق نفسه أنّ *منزوياً* خصّص عدداً من

قصائدة للتعبیر عن أحزانه، إزاء الأوضاع الرهیبة التی شهدها المجتمع الایرانی شأن سائر الشعراء الذین یولون القضایا الاجتماعیة بالغَ عنایتهم. الفضایا التی أذکتْ شرارة الحزن والکآبة فی نفسه وجعلته فی مصاف الشعراء الذین یُعدّ هاجس الحزن رکیزةً من الرّکائز الأساسیة لأشعارهم(وثوقی، ۱۳۸۷ش: ۱۹۲).

قبل أن نتطرّق إلی المؤثرات الخارجیة تجدر بنا الإشارة إلی أنّ العوامل الخارجیة التی أرست دعائم الحزن لدی الشاعرین لا تسیر دائماً علی وتیرة واحدة؛ فبینما تأثّرَ *منزوی* بظاهرة الأستبداد واستلهم منها مضامینه الشعریة رکّز *عبدالصبور* علی ظاهرة الإستکبار التی أنشبتْ مخالبها فی صدر البلاد بحذافیرها.

النظام الدکتاتوری الذی کان یحکم بالحدید والنّار فی إیران جثم علی صدر البلد کالأخطبوط وألقی بظلاله الثقیلة علی نفس الشاعر، حیث أصیب بالانهیار الروحی وخیبة الأمل ومن ثَمّ أظلمتْ آفاق الحیاة فی نظره بعد أن ساورته مشاعر الکبت والضیاع ما أدّی إلی استیلاء الرؤیة التشاؤمیة علی اشعاره. کما قلنا الهاجس الرئیسی الذی شغل بال *منزوی* وأقضّ مضجعه هو الاستبداد الغاشم فی إیران فترة حیاتة. إذاً لیس غریباً أن یصبّ الشاعر جُلَّ أشعاره فی خانة الحریّة التی باتت حلماً یُراوده منذ نعومة أظفاره. یتخیل *منزوی* فی النصّ الشعری التالی طائراً سجیناً فی القفص یلتمس حرّیته الضائعة فیرفرف بجناحیه کی یطیر داخل السجن، ولکن سرعان ما یصطدم بجدران القفص فیسقط حتی یری أخیراً أنّه من الأفضل أن یموت لیتخلّص من حیاة السجین ولیس الطائر إلّا مثالاً لنفس الشاعر المتعطّشة للحرّیة:

پر گشودیم و به دیوار قفس‌ها خوردیم وه که در حسرت یک بال پریدن مردیم

(المصدر نفسه: ۴۶۳)

الترجمة: «رفرفنا بأجنحتنا للطیران لکن ارتطمنا بجدران القفص آهاً لقد مِتْنا حسرةً علی طیرانة واحدة».

الأنظمة الاستبدادیة حوّلتْ البلد إلی بیئة موحشة یسودها صمت رهیب جَنائزی کما أفقدت شعبها الروّح والحیاة، فأضحت کتلة هامدة تخلو من النشاط والحیویة وتفتقد دینامیکیتها فلا تشعر سوی بالویلات والنکبات والمآسی والمحن:

این شهرواره زنده است امّا بر آن مسلط روحی شبیه چیزی، چیزی شبیه مردار

چیزی شبیه لعنت، چیزی شبیه نفرین چیزی شبیه نکبت، چیزی شبیه ادبار

(المصدر نفسه: ٣۶)

الترجمة: «هذه البلدة حية لكن استولى عليها ما يشبه الروح أو الجيفة أو وصمة العار أو الإحباط والشقاء».

بلغت المأساة فی نفس *منزوی* قمّتها حتی بدّدت أمَلَه فی تحسّن الأوضاع وتعافی المجتمع من تداعيات الاستبداد الخانق. تحمل الأبيات التالية فی طياتها نبرة تشائميّة انطلقتْ من حنجرة الشاعر الدّامية:

وقتی که خواب نیست ز رؤیا سخن مگو آنجا که آب نیست ز دریا سخن مگو
پاییزها به دور تسلسل رسیده‌اند از باغ‌های سبز شکوفا سخن مگو
دیری است دیده غیر حقارت ندیده است بیهوده از شکوه تماشا سخن مگو
خورشید ما به چوبه دار بسته شد از صبح و آفتاب در اینجا سخن مگو

(المصدر نفسه: ٢۵٩)

الترجمة: «لا تُحدّثنا عن الأحلام طالما لا أثر للمنام ولا تحدّثنا عن البحر حالما لا أثر للماء. تسيرُ خرائفنا فی دوّامة فلا تُحدّثنا عن الحدائق الخضراء والمتفتّحة. طالما لم تبصر عيوننا سوى الحقارة والمهانة فلا تحدّثنا عبثاً عن مجد الأبصار. مادامت شمسنا مشدودة بالمشنقة لا تحدّثنا عن الصباح وضَوء الشمس».

يعشق *منزوی* وطنه بكلّ خلاياه فإنّ حبّه يجری بداخله جَريان الدّم داخل العروق، فغدت كلمات شعره زاخرة بحُبّ إيران، فنراه يخاطبها فيها بلغة تنبضُ بالحبّ والحنان فكأنّه يغازلُ حبيبة له يحبّها حبّاً صادقاً يلامسُ نياط قلبه:

ایران من ای خاک همایون من ایران ای منبع الهام من ای شور تو جاری
ای عشق تو آمیخته با خون من ایران در شعر تر و نغمه موزون من ایران

(المصدر نفسه: ٣٠٧)

الترجمة: «يا إيرانی يا ترابی! السعيد يا إيران يا مصدر ألهامی ويا حماساً جارياً فی كيانی! لقد اندمج حبّكِ بدمی يا إيران وأنت تسری فی أشعاری النديّة وألحانی الموزونة يا إيران!».

وأمّا فیما یتعلق بالمؤثرات الاجتماعیة ودورها فی إذکاء الحزن فی نفس صلاح *عبدالصبور* لابد أن نقول إنّ البیئة التی عاشها الشاعر تمخّضت عن المزید من مظاهر الفساد علی خلفیة احتکاکها بالحضارة الغربیة، من شیوع الفقروالعوز وتفشّی العهر والدّعارة ما أدّی إلی إحساس الشاعر بالمسئولیة تجاه إصلاح عیوب المجتمع وتقویم اعوجاجه، إلّا أنّ الشاعر عندما یری نفسه عاجزاً فی مواجهة رذائل المجتمع واستئصال جذورها یشعر بالحزن والخیبة. ولکن حزنه لا یفضی فیه إلی حدّ التشاؤم مثلما وجدناه فی *منزوی*. یعیطنا الشاعر فی المقتطف التالی فی شعره صورة قاتمة عن المجتمع الذی یحیاه فهو یتحدّث فیه عن الحقوق الضائعة والدّماء المهراقة ظلماً من قِبَل الوحوش التی تحمل قناعاً إنسانیاً:

هذا زمن الحقّ الضائع
لا یعرف فیه مقتولٌ مَن قاتِلُه
ومتی قَتَلَه وروؤس النّاس
علی جُثث الحیوانات

(المصدر نفسه:۱/ ۱۵۴)

یری *عبدالصبور* مساوئ مجتمعهِ ولیدة الفقر داعیاً أبناء جلدته إلی مکافحة الفقر والنهوض فی وجهه، إذ أنّ الشرّ کلّه یکمن فی هذه الظاهرة المستشریة فی بلده. فالفقر فی منظاره یکون مدعاة لکل شرّ ومثلبة یلمحُ إلی ذلک فی غضون الأنشودة التالیة:

الحلاج: هبْنا جانَبْتا الدّنیا، ما نصنع عندئذ بالشرّ
الشّبلی: الشرّ؟ ماذا تعنی بالشرّ؟
الحلّاج: فقر الفقراء، جوع الجوعی

(المصدر نفسه: ۱ ۴۸۱/۲)

لقد أعرب *عبدالصبور* عن تضامنه وتعاطفه مع الطبقة الکادحة من الفقراء والمعوزین والمرضی فی أشعاره، فها هو یدعوهم إلی مضافة أقامها لهم لعلّه یخفّف من معاناتهم أو یبلسم جروحهم:

إلی إلی یا غُرباء
یا فقراء یا مرضی

كسيری القلب والأعضاء
قد أنزلتُ مائدتی

(المصدر نفسه:١ ١٧٥/١)

المشاكل التی يمرّ بها المجتمع المصری أغرقَت الشاعر فی الحـزن والكآبـة، وتبلـورت فی شعره بكل وضوح وجلاء إلّا أنّ حزنه لم يصل مستوى الخيبة والإحباط؛ كما مرّ سـابقاً بل ظلّ الشاعر يسعى جاهداً للقضاء على الأحزان وبناء مستقبل أفضل وغدٍ مُشرق يعـيش فی ظلّه المواطنون فی أجواء مشحونة بالأفراح:

نعيشُ رغم الحزن،
نقهره ونصنعُ فی الصّباح
أفراحَنا البيضاء
أفراح الّذين لهم صباحٌ

(عبدالصبور، ١٩٩٨م: ١/ ٣٨)

إنّ الفقر يُعتبر البيت القصيد فی شعر *عبدالصبور* وله نصيب الأسد من ديوانه الشعری. أعرب فی كثير من محطّات شعره عن استياءه وتذمّره لمّا شاهد الهـوّة السـحيقة والفجـوة العميقة بين الأغنياء والطبقات الدّنيا من المجتمع. صوّر الشاعر كثيراً ممّا عاينه فی حيـاة الفقراء من مشاهد بشعة عن البؤس والشّقاء بعدسة شعره. يتحدّث لنا باكيـاً عـن الأطفـال الذين بلغت التعاسة بهم إلى الإكباب على النفّايات المكدّسة باحثين عـن فتـات الأغذيـة الملقاة فيها، دون أن تهمّهم الأوساخ اللّاصقة بها:

وكنتُ إن تركتُ لقمةً
أنفتُ أن ألمسَها يلتقطها
يمسُحها فی كُمّه، يبوسها، يأكلها...
فی عالمٍ كالعالَم الّذی نعيشُ فيه
تعشی عيونُ الّتافيهن عن وساخة الطعام والشراب

(المصدر نفسه:١/ ٣١٠)

موت الأطفال إثر الجوع فتح أبواب الحزن أمام الشاعر على مصراعيها فشـعر أنّ روحَـه تحلّلت واندثرت كالغبار أو تبخرت وتلاشت كالسحابة فانهمرت الدّموع من عينيه رثاءً لهم:

الجُثّة الأولی لطفل جائع فقیر
منذ دفنتُها...
بکیتُ حینما دفنتُها بکیت وانکسرتُ
وانعصرتُ
وانتسختُ بکیت حتی کدتُ أن انحلّ کالغبار
أو أذوبَ کالغَمامة

(المصدر نفسه: ۱/ ۲۸۰)

مشهد الأطفال الجیاع جعل شاعرنا یتمنّی لو تمکن من أشباع الجائعین ولو بإعطاءهم فلذةً من کبده یتناولونه:

وکنتُ عندما أحسُّ بالرِّثاء للبؤساء
أوّد لو أطعمتِهم من قلبی الوجیع

(المصدر نفسه: ۱/ ۲۴۷)

علاوة علی الفقر فإنّ الأنظمة الإستکباریة من أکبر الهواجس التی أرّقت شاعرنا *عبدالصبور* علی غرار *منزوی*، حتی أدان القوی المتسلّطة علی رقاب الشعوب والتی تنهب ثروات البلاد وخیراتها بحجّة منحها الدیموقراطیة والحضارة. وصف *عبدالصبور* فی مقطوعة شعریة له جنود الاستکبار الزاحفة إلی بلده بجنود التتار أو المغول التی اجتاحت البلاد فجعلت عالیها سافلها، وأهلکت الحرث والنّسل وأشاعت مظاهر البؤس والشقاء فی ربوع البلاد. الویل والدّمار اللذان جرّهما الاستعمار إلی مصر هیّج عاطفة الحزن لدی الشاعر فأخذ ینوح ویرثی بلده بقلبٍ دامٍ:

هجم التّتار
ورمَوا مدنیتَنا العریقة بالدّمار
رجعت کتائبُنا ممزَّقةً وقد حمی الّنهارُ
الرّایة السوداء والجرحی وقافلةُ موات
زحفَ الدّمار والإنکسار...
ووا بلدتی هجمَ الثتار...

(المصدر نفسه: ۱/ ۱۴)

من الجدير بالذكر أنَّ الحزن فی نظر *عبدالصبور* لا يُجدی نفعاً ولا يسمن ولا يُغنی من جوع، إلّا إذا التزم بالمسئولية والنهوض بأعباءها فإذا تخلّی الشخص المحزون عن وظيفته فی مقارعة الظلم والفقر، وتهاون فی العمل علی إقامة العدالة ونشر الرفاهية فلا يكون حزنه إلّا مبعثاً علی حالة الاسترخاء واللّامبالاة ما يؤدّی إلی استيلاء الطغاة علی رقاب الشعوب وفقعِ عيونهم. يحدّثنا الشاعر فی المحطة التالية من شعره عن الحزن المدمّر والهدّام والذی لا طائل تحته ولا يحرّک ساكناً كما لو أنّه حيّة جرسية سامّة افتقدت إلی قوّة النّهش واللّدغ:

حُزنٌ تمدّدَ فی المدينة
كالأفعوان
بلا فَحيح
الحزنُ أقام حكّاماً طغاة
الحزنُ قد سمِلَ العيون

(المصدر نفسه: ١٤١/١)

نتيجة البحث

أهم النتائج التی تمّ التوصّل إليها عبر البحث:

أحاط بالكلمات الشعرية *لمنزوی* و*عبدالصبور* حزنٌ ناجمٌ عن رؤيتهما الدقيقة نحو الحياة وطبيعتهما الحسّاسة، وواجه الشاعران فی حياتهما الفردية والاجتماعية مشاكل وصعوبات ألقت بظلالها الثقيلة علی نظرتهما تجاه الحياة والتی تسرّبت وتغلغلت فی أشعارهما.

تعود جذور الحزن فی نفس منزوی فی الأغلب إلی أمور ذاتية حالما تعود أسباب الحزن لدی *عبدالصبور* إلی أسباب اجتماعية.

تضاعف الشعور بالوحدة الذی لدی *منزوی* و*عبدالصبور* عند فقدهما للأحبّة ممّا أضفی علی أشعارهما لوناً من الكآبة والاغتراب، فضلاً عن الأمور الذاتية قد يكون دافع الحزن لدی منزوی اجتماعياً يتمثّل فی غياب الحريّة وطبش الاستبداد بأبناء المجتمع. لا تحتمل روح *منزوی* المترفّعة عن الدناءة والخنوع الاستسلام أما الطواغيت أو التخبّط فی

غیاهب السجن الرهیب الذی أقامه الاستبداد فی البلد من أقصاه إلی أقصاه. لقد تجلّت روح الشاعر المتهالکة علی الحریة أثناء کلمات شعره الحزینة وقد یبلغ الحزن فی نفس *منزوی* حالة تنطوی علی الرؤیة السلبیة أو التشاؤم.

للحزن القائم لدی *عبدالصبور* أسباب ذاتیّة واجتماعیة علی غرار *منزوی*، المصائب التی حلّت بالشاعر جراء رحیل الأحبة أشعلت فتیل الحزن فی نفسه، وترکت بصماتها علی کلماته النائحة. ومن أهمّ المؤثرات الاجتماعیة التی حرّکت فی نفسه عاطفة الحزن هی الفقر وغیاب الحرّیة. المشاهد البشعة التی صوّرها الفقر المدقع أمام ناظری الشاعر أشربت نفسه بکؤوس المرارة والشقاء وملأ کیانه حزناً وأسی. ثمّ إنّه ندّد بالاستکبار الذی حوّل حیاة الشعب إلی کابوس مرّوع. الویلات الناجمة عن الحیاة فی ظلّ الاستکبار دفعت بالشاعر إلی أن یعزف بقیثارته الشعریة أنغاماً حزینة وألحاناً شجّیة، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ هاجس الحزن لم یبلغ عنده مبلغ التّشاؤم بل ظلّ *عبدالصبور* رغم أحزانه یتطلّع إلی مستقبل تلوح بآفاقه بوادر الحرّیة والانفراج عن المصائب والرزایا.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

توفيق بيضون، حيدر. ١٩٩٣م، **صلاح عبدالصبور قصيدة مصر الحديثة**، بيروت: دار الكتب العلمية.
التونجی، محمد. ١٩٩٩م، **المعجم المفصّل فی الأدب**، بيروت: دار الكتب العلمية.
السحار، جودة سعيد وشركائه. ١٣٥٠ق، **المرأة العربية فی جاهليتها وإسلامها**، المدينة المنورة: مكتبة الثقافة.
شكری، غالی. ١٩٩١م، **شعرنا الحديث إلى أين**، بيروت: دار الشروق.
شيری، قهرمان. ١٣٨٧ش، **مكتب‌های داستان‌نويسی در ايران**، چ١، تهران: چشمه.
عبدالصبور، صلاح. ١٩٩٨م، **ديوان شعر**، بيروت: دار العودة.
عبدالصبور، صلاح. ٢٠٠٦م، **الأعمال الشعرية الكاملة**، بيروت: دار العودة.
كاخی، مرتضی. ١٣٧٠ش، **باغ بی برگی**، تهران: نشر ناشران ايران.
منزوی، حسين. ١٣٦٩ش، **حيدربابا**، به كوشش محمد فتحی، تهران: آفرينش.
منزوی، حسين. ١٣٨٧ش، **حنجره زخمی تغزّل**، تهران: آفرينش.
منزوی، حسين. ١٣٧٣ش، **از شوكران وشكر**، تهران: آفرينش.
منزوی، حسين. ١٣٨١ش، **از خاموش‌ها و فراموش‌ها**، تهران: مهديس.
منزوی، حسين. ١٣٧٦ش، **از ترمه و تغزّل**، تهران: روزبهان.
منزوی، حسين. ١٣٨٩ش، **مجموعه أشعار حسين منزوی**، به كوشش محمد فتحی، چ٢، تهران: نگاه.
نيرومند، كريم. ١٣٤٧ش، **سخنوران و خطاطان زنجان**، زنجان: مؤسسه مطبوعاتی زعفری.
وثوقی، منصور و علی أكبر نيک خلق. ١٣٧٨ش، **مبانی جامعه شناسی**، تهران: انتشارات بهينه.

المقالات

أميری، جهانگير والآخرون. ١٤٣٤ق، «**نبرات الحزن والإغتراب فی شعر مظفر النواب ومهدی أخوان ثالث**»، مجلة العلوم الإنسانية الدولية، جامعة تربيت مدرس، عدد ١٩.
قربانی، جاويد. ١٣٨٦ش، «**نگاهی به زندگی حسين منزوی غزل‌پرداز بزرگ معاصر**»، مجله حافظ، مجموعه مقالات، ش٤٧، ص٣٧.